اتجاهات تعليم اللغة وتعلمها

تعددت الاتجاهات في تعليم اللغات وتعلمها وكان من أهمها ما يأتي :

1- اتجاه تقليدي لا يحفل إلا باللغة المكتوبة ، ويتخذ من نماذج القواعد النحوية التي وضعت في الأصل للغات أخرى نموذجا يحتذى ، فلا يكاد الدارس يخرج منه إلا بقدرة منقوصة على فهم بعض النصوص وترجمتها بالاستعانة بالمعجمات وكتب النحو والصرف من دون قدرة على استعمال اللغة في تجلياتها الحية حديثا واستماعا .

2- اتجاه بنيوي سلوكي عنى بظاهر اللغة ونظامها التركيبي ، فجعل اللغة المنطوقة أكبر همه ، وقدم وصفا علميا دقيقا لبنية اللغة معتمدا على معايير لغوية مستنبطة من اللغة ذاتها كما يستخدمها أصحابها بعيدا عن الأنماط المعيارية التي تفرض على اللغة من خارجها ، مع التسليم بما بين اللغات من فروق وما لها من خصائص . وقد انتقل هذا التصور إلى تعليم اللغات الأجنبية فيما عرف بالطريقة السمعية الشفوية، أو السمعية/البصرية الشفوية التي ظلت مسيطرة على تعليم اللغات الأجنبية في معظم بلدان العالم لأكثر من أربعين عاما.

وكان أهم ماعنيت به حصر النماذج التركيبية وتكرار التدريب عليها ومحاكاة وظامها الصوتي وطرائق التركيب فيها لتكوين عادات لغوية ثابتة أشبه ما تكون بالعادات اللغوية التي يكتسب بها الطفل لغة أهله.

عل أن التطبيق العملي كشف عما في هذه الطريقة من عيوب ، نوجزها فيما يأتي :

- الإفراط في التدريب الآلي على الجمل والعبارات من دون اهتمام بالمواقف الاجتماعية والثقافية التي تستخدم فيها.
- العجز عن تنمية المهارات الإبداعية لدى الطلاب.
- العناية باللغة المنطوقة على حساب اللغة المكتوبة.

وقد أشار تشومسكي إلى أن االناس لا يمكنهم اكتساب اللغة عن طريق التكرار والتعزيز ، وقال إن الأطفال لا يتعلمون اللغة بهذه الطريقة فهم لا يكررون ما يقوله الكبار لكنهم يبدعون جملهم الخاصة وعباراتهم التي لم يسمعوها من قبل ، وهم يقعون في أخطاء منتظمة ولا يجدي معهم تصويب الأخطاء ولا ما يقال أمامهم من كلام صحيح حتى يتخلصوا هم بأنفسهم منها، وهم لا يتعلمون نحو اللغة بل يستنبطون لأنفسهم القواعد التي يجري عليها الاستعمال.

3- اتجاه تواصلي يعنى بتنمية القدرة التواصلية للطالب من خلال تعلم اللغة في إطارها الاجتماعي والثقافي ، والاهتمام بتعليم اللغة لتحقيق التواصل المباشر حديثا واستماعا ، والتواصل غير المباشر قراءة وكتابة ، من خلال مواد تعليمية اصيلة مؤسسة على استعمال اللغة في مواقف اجتماعية وثقافية حية تنجز من خلالها وظائف عملية في واقع الحياة بعد تحليل حاجات الدارسين والوقوف علي اهدافهم من تعلم اللغة.

وهذا الاتجاه هو ما سنفصل الحديث فيه محددين منطلقاته المنهجية وغاياته وأهدافه .

أولا : يقوم الاتجاه التواصلي على أن اللغة وسيلة تواصل بين البشر وليست مجرد ألفاظ وتراكيب مقطوعة من سياقاتها، وهذا التواصل يقتضي مرسلا ومستقبلا ورسالة يراد إبلاغها وقناة تحمل هذه الرسالة ، وهي هنا قناة لغوية ، في إطار موقف تواصلي لإنجاز وظيفة بعينها او جملة من الوظائف .

ثانيا : نشأ الاتجاه التواصلي من أعمال اللغوي الأنثروبولوجي ديل هايمز 1972 ، واللغويين الفيرثيين (نسبة إلى فيرث) الجدد مثل مايكل هاليداي ، الذين درسوا اللغة بوصفها نظاما تواصليا في محيط اجتماعي. وكان ديل هايمز قد تصدى لنظرية تشومسكي مبينا قصورها، لأنها تعزل اللغة عن محيطها الاجتماعي ، وتوجه اهتمامها غلى النظام اللغوي المخبوء داخل الذهن البشري الذي يسمى القدرة اللغوية دون الأداء ومن صم لم يستطع تشومسكي أن يأتي بشيء يذكر في تعلّم اللغات.

وقد رأى هايمز أن هذه القدرة اللغوية التي يولد بها عدد لا يحصى من الجمل الصحيحة ينبغي أن يكون جزءا من القدرة التواصلية التي تتجاوز القدرة اللغوية إلى الأعراف الاجتماعية التي تحكم استعمال اللغة في مواقف اجتماعية . هذه القدرة التواصلية هي الغاية المبتغاة من تعلم اللغة ، إذ اكتسابها يعني القدرة على استعمال اللغة استعمالا صحيحا على نحو ملائم للموقف الذي تستخدم فيه لإنجاز الغايات او الأهداف الاتصالية ، وهي تتكون من أربعة مكونات أساسية :

*المكون النحوي *المكون اللغوي الاجتماعي *المكون الخطابي * المكون الاستراتيجي

*المكون النحوي : ويتمثل في القدرة على التزام قواعد النحو والصرف والمفردات في اللغة الهدف ، وهو يجيب عن أسئلة يمكن أن يلقيها الدارس على نفسه، من نحو : أي كلمات اختار؟ كيف أضعها في عبارات وجمل؟

*المكون اللغوي الاجتماعي : ويتمثل في القدرة على استخدام اللغة على نحو ملائم للموقف الاجتماعي ، والاستجابة اللغوية الملائمة لما يقال ، ويدخل فيها كيفية اختيار موضوع الحديث والمشاركة فيه والانتهاء منهز وهو يقوم على أسئلة يمكن أن يلقيها الدارس على نفسه من نحو : أي العبارات والجمل تناسب هذا الموقف ؟ كيف أعبر عمّا أريد من دون أن أصدم السامع بمخالفة الأعراف الاجتماعية والقيم الخلقية والدينية السائدة في هذا المجتمع؟

*المكون الخطابي : ويتمثل في القدرة على الربط بين الجمل ربطا نحويا دلاليا ومنطقيا بحيث يؤدي إلى تماسك الخطاب سبكا وحبكا . وإذا كانت القدرة اللغوية تعنى بالجملة ومكوناتها فإن الخطاب يعنى بما بين الجمل من روابط وعلاقات ، وهو يقوم على أسئلة ، على نحو : كيف أعبر عن فكرة تامة بكلام متصل متماسك مفهوم؟ ما هي الوسائل النحوية والدلالية التي تجعل الكلام مترابطا مرتبا ترتيبا منطقيا؟

*المكون الاستراتيجي : ويتمثل في القدرة على تعويض النقص الذي ينشأ من متغيرات الأداء وملء فجوات المعرفة الناقصة بالاستخدام اللغوي ، فيحرص الدارس على ان لا يصل إلى مرحلة انهيار الاتصال، وذلك من خلال شرح العبارات او الدوران حول المعنى أو التكرار او التردد أو التخمين أو تغيير الأسلوب ...وهو يقوم هلى أسئلة يمكن أن يلقيها الدارس على نفسه من نحو : كيف أعرف أن كلامي غير مفهوم ؟ وماذا أقول عندئذ ؟ وكيف أعبر عن فكرتي إذا لم أتذكر الكلمة المناسبة أو العبارة الدقيقة أو اختلط عليّ الأمر؟

ثالثا : تعلم اللغة لا يعني العلم بنظامها اللغوي ، بل تحقيق وظائفها التواصلية ، إذ إن النظام اللغوي لا يعني للمتعلم شيئا إذا لم يستطع استخدامه في التواصل مع أبناء اللغة . وقد استطاع هاليداي ان يحصر وظائف اللغة في سبع وظائف أساسية ، هي : الوظيفة النفعية أو الوسيلية (انا أريد) ، الوظيفة التوجيهية (نفذ ما أطلبه منك)، الوظيفة التفاعلية (أنا وأنت)، الوظيفة الشخصة (إني قادم) ، الوظيفة الاستكشافية (قل لي لماذا؟) ، الوظيفة التخييلية (دعنا نزعم)، الوظيفة التمثيلية أو السردية (لدي شيئ أريد أن أخبرك به).

وظاهر أن هذه الوظائف تمتاز بالبساطة والتنوع والشمول والإيجاز ، وأن كل وظيفة من هذه الوظائف لا تقف وحدها بل تتكامل جميعا لتحقيق الهدف . ولا بد من التنبه إلى أن الوظيفة الواحدة يمكن أن أن يعبر عنها بتراكيب لغوية مختلفة ، كما ان التركيب اللغوي الواحد قد يستخدم في التعبير عن عدة وظائف

لغوية ، والذي يحكم استخدام تركيب لغوي معين في وظيفة لغوية محددة هو العلاقة الاجتماعية بين المشاركين في الحدث الكلامي في موقف بعينه. وهذه العلاقة يمكن تلخيصها في العبارة الآتية : من يتحدث؟ مع من؟ ومتى؟ وأين؟ وما دور كل المتحدثين ؟ فلا مفر في التواصل بين الناس من مراعاة القواعد الاجتماعية كما تراعى القواعد اللغوية.

رابعا : ثمة خصائص للاستخدام اللغوي يحددها موضوع الحديث ومناسبته والمشاركون فيه والموقف الاجتماعي ، فما يقال في التسوق مثلا يختلف عما يقال في المطار أو في مكتب البريد أو عند الطبيب او في وصف رحلة. وما يقال للتحية يختلف عما يقال للسخرية أو التهديد أو الشكوى او الإقناع أو الاستفسار أو الاعتذار أو النصح أو التعاطف ، وما يقال في خطاب رسمي موجه لجمهور غير ما يقال في المعاملات التجارية . وهذه الخصائص يعنى بها الاتجاه التواصلي عناية كبرى لأنها تمثل مشكلة لمتعلم اللغة الأجنبية ، لما يكمن وراءها من اختلاف ثقافي ومعرفة ما يلائم السياق وما لا يلائمه ، فهذه الخصائص لغوية وثقافية واجتماعية في وقت واحد .

خامسا : ثمة تواصل غير لغوي تؤديه لغة الجسد بالإيماءات وحركات الايدي والأذرع والعيون والرؤوس، وهذه الإيماءات والحركات مختلفة من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر ، وما يدل على التهذيب والتأدب في مجتمع ما قد يدل على إهانة أو خروج على القيم الأخلاقية والمواضعات الاجتماعية في مجتمع آخر . ومن اللازم ان تتضمن برامج تعليم اللغات الأجنبية هذا النوع من التواصل تمكينا للقدرة التواصلية العامة هند متعلم اللغة .

سادسا : يهتم الاتجاه التواصلي باللغة الطبيعية منطوقة ومكتوبة في ارتباطها بالمواقف الاجتماعية الواقعية لا مواقف مصطنعة أو مواقف يتخيل مؤلفو الكتب التعليمية أن الدارس في حاجة إليها او يجعلونها وسيلة لاستظهار القواعد وحفظ الكلمات ، ومن ثم كان حرص الاتجاه التواصلي على أصالة المادة التعليمية ، إذ تؤخذ من مصادر أصيلة في العالم الواقعي تعبيرا عن مواقف وتحقيقا لوظائف .

ومعروف أن اللغة أكبر من معجمها ، وأكبر من طاقات الفرد ولذلك يصبح ضروريا أن يختار منها القدر الذي يحتاج إليه الدارسون لتحقيق التواصل اللغوي الذي يحقق اهدافهم ويشبع رغباتهم ويسد حاجاتهم، ومن هنا كان تحليل حاجات الطلاب وأهدافهم من تعلم اللغة ، دون إغفال لما لديهم من خبرات وتجارب .